العمل والكسب في الإسلام
وأثره في تنمية المجتمع

د. عمر عبد الله عبد الرحيم(*)

تمهيـــد :

حث الإسلام منذ بزغ فجره على العمل وكسب اليد، واعتبر أن مضمون الخلافة في الأرض يتحقق عندما يستشعر العبد تقوى الله في عمله وكسب يده . وقد كان هذا نهج الأنبياء كلهم فقد قال ابن عباس رضي الله عنهما " كان آدم عليه السلام حرّاثاً ، ونوح نجاراً ، وإدريس خياطاً ، وإبراهيم ولوطا زراعين ، وصالح تاجراً ، وداود زرّاداً ، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله تعالى عليهم وسلم ورعاة " (١) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم " إذا قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة فليغرسها " (٢) فإذا تساءلنا لماذا يغرسها والساعة قائمة وهو لن ينتفع بها ولا أحد من بعده ؟!

نجد أنه دليل على أن العمل مطلوب لذاته ، وعلى المسلم أن يظل عاملاً منتجاً حتى تنفد آخر نقطة زيت في سراج الحياة . فاستشعار تقوى الله في العمل يتولد عنه سيادة مبادئ الإسلام في سلوكيـــات المجتمع ، كمبدأ تحقيق حد الكفاية ، ومبدأ تحقيق التوازن الاقتصادي والاجتماعي ، فمسألة العمل والكسب في نظـــر الإسلام مسألة وجود أولا وجود ، وأنه بقدر ما

(*) أستاذ مساعد بقسم الدراسات الإسلامية ، كلية التربية الأساسية بالكويت .

(١) ابن قدامة ، مختصر منهاج القاصدين . ص ٨١ .

(٢) رواه البخاري ، (١٤٧٤) ومسلم (١٠٤٠) .

تنجح الأمة في الاهتمام ومعرفة قيمة العمل والكسب ، بقدر ما تسرع في الوصول إلى تحقيق التنمية الاقتصادية ، ويكون لها مكانة في عالم المستقبل .

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " فالعبد لابد له من رزق ، وهو محتـــاج إليه ، فإذا طلب رزقه من الله صار عبداً لله فقيراً إليه ، وإذا طلبه من مخلوق صار عبداً لذلك المخلوق فقيراً إليه ، ولهذا كانت مسألة المخلوق محرمة في الأصل وإنما أبيحت للضرورة ، وفي النهي عنها أحاديث كثيرة في الصحاح والسنن والمسانيد " [1].

وكما حث الإسلام على العمل وكسب اليد ، كذلك حث على أن يكون هذا الكسب مشروعاً ، لا ممنوعاً محظوراً . فكم من إنسان يعمل لكنه يعمل في الحرام ، فمطعمه ومشربه وملبسه فضلا عن مسكنه حرام ، فهذا الصنف من الناس النار أولى به يوم القيامة، فضلاً عن أنه لا يستجاب لدعواه في الدنيا ، فقد جاء في الصحيح أن كل لحم نبت من حرام فالنار أولى به [2]. وكذلك قال عليه الصلاة والسلام : " إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا ، وأن الله تعالى أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ثم قرأ ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا ﴾ [3] وقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾ [4] ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر يمد يديه إلى السماء يارب يارب ، ومطعمه حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي بالحرام فأنى يستجاب له"[5]. وروي في الآثـــار أن

---

(١) ابن تيمية ، العبودية ، ص ٩٠ .
(٢) البيهقي ، شعب الإيمان ، (٥٧٦١) .
(٣) المؤمنون ، آية ٥١ .
(٤) البقرة ، آية ١٧٢ .
(٥) رواه مسلم (١٠١٥)

لقمان الحكيم قال لابنه : " يا بني استعن بالكسب الحلال ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال ، رقة في دينه ، وضعف في عقله ، وذهاب مروءته ، وأعظم من هذه الخصال استخفاف الناس به "[1] .

إذا لابد للمسلم أن يبحث عن مظان الحلال في عمله وكسب يده وأحببت وقد أردت أن أبين في هذا البحث أن الله لطيف بعباده ، جعل الدنيا دار تسبب واكتساب ، تارة للمعاش وتارة للمعاد ، ثم بيان أهمية الكسب والعمل وانعكاسه على تنمية المجتمع .

مفهوم العمل :

العمل هو المهنة والفعل ، والعمل أخص من الفعل ، لأن الفعل ينسب إلى الحيوان الذي يقع منه فعل بلا قصد ، بخلاف العمل الذي يعم أفعال القلوب والجوارح ، ولا يقال إلا ما كان عن فكر وروية ، ولهذا قرن بالعلم[2].

مفهوم العمل في الإسلام :

كل عمل مادي أو معنوي ، أو مؤلف منهما معاً ، ينفع الناس في الدنيا والآخرة يعتبر عملاً إسلامياً ، فهو يشمل العمل اليدوي والفني والعقلي، كما يشمل ما صغر في نظر الناس وما عظم[3] . فالعمل هو : المجهود الواعي الذي يقوم به الإنسان – وحده أو مع غيره – لإنتاج سلعة أو خدمة[4] .

---

(1) ابن قدامه ، منهاج القاصدين ، ص ٥٨ .

(2) نضرة النعيم ، ص ٣٠١١ .

(3) دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٥٥ .

(4) القرضاوي ، مشكلة الفقر .

مكانـــة العمل في الإسلام :

أوجب الإسلام على أهله وأتباعه العمل ، وحثهم عليه في كثير من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفـــة ، لذلك فكل إنسان في مجتمع الإسلام مطالب أن يعمل ، مأمور أن يمشي في مناكب الأرض ، ويأكـــل من رزق الله ، كما قـــال الله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (١) وذلك لأن العمل هو السلاح الأول لمحاربة الفقر ، وهو السبب الأول في جلب الثـــروة ، وهو العنصر الأول في عمارة الأرض التي استخلف الله عز وجل فيها الإنسان ، وأمره أن يعمرها فقد ورد في آيات كثيرة من القرآن الكريم أمر الله عز وجل للمسلم بتعمير الأرض ، منها ما ورد على لسان نبيه صالح عليه السلام لقومه : ﴿ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ﴾ (٢) .

فالله سبحانه وتعالى لما أهبط آدم إلى الأرض ، واستعمـــر ذريته فيها وأمره وذريته أن يعمروا الأرض ، ويستخدموا من أجل ذلك كل الوسائل المتاحة التي يتمكنوا بها من هذا الاعمار جعل سبحانه وتعالى الإنسان سيداً في هذا العـــالم ، وأخضع عناصر الكون كلها له ولخدمته وتيسير رغائبه . قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً ﴾ (٣) وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا

---

(1) سورة الملك ، آية رقم ١٥ .

(2) سورة هود ، آية رقم ٦١ .

(3) سورة الإسراء ، آية رقم ٧٠ .

تَشْكُرُونَ﴾ [1]وقال تعالى : ﴿ وَالأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ [2] كما جعل سبحانه وتعالى الحياة خيرًا للإنسان ، لذلك فكل يوم تنفتح فيها العين على ضوء الشمس والقمر نعمة متاحة ، يجب على الإنسان شكرها كما يجب عليه استغلالهـــا ، وإن طول حياة الرجل يمكن أن يكـــون منبع خير غزير ، يقول الرسولﷺ : " ألا أنبئكـــم بخياركم؟ قالوا : نعم . قال : خياركم أطولكم أعمارا وأحسنكم أعمالا[3] " .

كما يجب عليه أن يعلم أن الحياة فرصة ينبغي انتهازها ، والبقاء فيها وسيلة لمزيد من الطهر والتكمل ، وكل لحظة يقضيها الإنسان في هذه الدنيا يمكن أن يصنع فيها شيئاً ما ، فلا يجوز القعود عنها ، ولا العجز عن أسبابها، ولا الانصراف عن أبوابها[4] وعليه في نفس الوقت أن يوازن ويوفق بين أعماله الدنيوية والأخروية التزاماً بقول الله تعالى : ﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا ﴾ [5] فلا يجعل العبادات تطغى على الأعمال الدنيوية ، ولا يجعل الأعمال الدنيوية تطغى على العبادات، بل يعمل لدنياه كأنه يعيش أبدا ، ويعمل لآخرته كأنه يموت غدا .

ومن هنا نرى أن الإسلام لا يجوّز للشخص الذي يستطيع الكسب من كد يده ، وعرق جبينه أن يهمل عملـــه ، ويعتمد في حياته كلها أو جلها على

---

(1) سورة الأعراف ، آية رقم ١٠ .

(2) سورة النحل ، آية رقم ٥ -٦ .

(3) رواه ابن حبان ج ٢ ص ٤٦١ حديث (٤٨٥) .

(4) محمد الغزالي ، كيف نفهم الإسلام ، ص ٣٩ .

(5) سورة القصص ، آية رقم ٧٧ .

فضلات أمـــوال الناس ، سواء كانت زكاة أو صدقات ، وإلا انقلبت الزكاة إلى تشريع إفساد لا تشريع إصلاح ، تشريع يعين على البطالة ويدفع إليها[1] .

وفي نفس الوقت أمر الإسلام أتباعه بالعمل بكل جد وإخلاص في كل مجالات الحيـــاة ، وفي حدود المعقـــول ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُواْ فَسَيَرَى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [2] وذلك لأن للعمل فوائد كثيرة تعود على الفرد والمجتمع ، فهو يهيئ الفرد والمجتمع الصـــالح، كما أن العمل يثمر خشية الله عز وجل ، ويوصل إلى محبته ورضاه ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار، هذا في الآخرة . أما في الدنيا فإنه يورث العفة ، ويحفظ الكرامة ، ويصون ماء وجه صاحبه من السؤال[3] .

من هنا فإنه لا يجوز أن يبقى رجل من غير عمل ، وبالتالي من غير دخل – قليل أو كثير – يكفل له المستوى الواجب لمعيشته ، فعلى المسلم أن يبحث عن العمل الذي يبرع فيه كي يوفر لنفسه ما يحتاجه ، وعلى المجتمع المتدين أن ينظم أموره تنظيماً يؤدي إلى توفير فرص العمل لأفراده كي يعيشوا حياة كريمة مطمئنة ، وإلا كان مجتمعاً لا دين له[4] . وقد جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : "ما أكل أحد طعـــاماً قط خير من أن يأكل من عمل يـــده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"[5] وقد جاء في الأثر أن عمر بن الخطاب ﷺ كان يقـــول : "إني لأرى الرجـــل فيعجبني ،

---

(1) محمد الغزالي ، من هنا نعلم ، ص ١٧٣ .

(2) سورة التوبة ، آية رقم ١٠٥ .

(3) نظرة النعيم ، ص ٣٠٥١ .

(4) محمد الغزالي ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص ٨٩ .

(5) رواه البخاري ، الفتح ، ج ٤ ، حديث (٢٠٧٢) .

فأقــول أله حرفة ؟ فإن قالوا لا . سقط من عيني" [1] كما قال أيضاً "إذا كان الشغل مجهدة فإن الفراغ مفسدة" .

ويقول الإمام علي بن أبي طالب ﷺ : "الاكتساب من الحلال جهادٌ وإنفاقك إياه على عيالك وأقاربك صدقة ، ولدرهم حلال من تجارة أفضل من عشرة من غيره"[2] .

وورد عن الصحابي الجليل عبدالله بن مسعود ﷺ قوله : "إني لأمقت الرجل أن أراه فارغاً ليس في شيء من عمل الدنيا ولا عمل الآخرة"[3] .

وقد علمنا الرسول ﷺ أن تغبير القدمين في أرجاء الحياة كصف القدمين في محاريب العبادة ، كلاهما دين قويم ، وصــراط مستقيم ، يقول النبي ﷺ : "سبع يجري للعبد أجرهن وهو في قبره بعد موته ، من علم علما ، أو كرى نهراً ، أو حفر بئرا ، أو غرس نخلا ، أو بنى مسجدا ، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته" [4] .

وهذه الأعمال مختلفة المظهر والجهد بعضها ديني وبعضها دنيوي ، ولكن شرف الغرض منها سلكها النبي ﷺ جميعا في نظام واحد ومثوبة سواء[5] .

كما نرى أن الإسلام لا يجوز للشخص أن يهمل العبادات ، وينصرف للأعمال الدنيوية حتى يصبح عبدا لمتع الدنيا الزائلة فيعيش تعيسا ، منتكسا

---

(1) د. روحي البعلبكي ، موسوعة روائع الحكمة ، ص ٤٥٤ .

(2) د. روحي البعلبكي ، موسوعة روائع الحكمة ، ص ٤٥٥ .

(3) السابق ، ص ٤٥٦ .

(4) رواه البيهقي في شعب الإيمان ، ج ٣ ، ص ٢٤٨ ، حديث (٣٤٤٩) .

(5) محمد الغزالي ، كيف نفهم الإسلام ، ص ٥٤ .

تحقيقا لقول الرسول ﷺ : "تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش"[1] كما يصبح وقد ازداد بعدا عن الله عز وجل تحقيقا لقول الرسول ﷺ : "من أصبح والدنيا أكبر همه، أو مبلغ علمه ، لم يزدد من الله إلا بعدا وألزمه الله أربع خصال : هماً لن يقطع عنه أبدا ، وشغلاً لن يتفرغ منه أبدا ، وأملاً لن يبلغ منتهاه أبدا ، وفقرا لن يبلغ غناه أبدا"[2] .

أخلاقيات العمل في الإسلام :

أوجب القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة العمل على كل مسلم ، كما حدّدا طبيعته ونطاقه وطريقة أداءه ، ومن هذا المنطلق – منطلق الوجوب – فمنطلق العمل في الإسلام يختلف تماماً عن منطلق العمل في المجتمعات الدنيوية التي لا تلتزم بتوجيه إلهي ، إذ يكون العمل في تلك المجتمعات بالنسبة لعامة الناس مجرد وسيلة لاكتساب الرزق "أكل العيش" وبناء على ذلك فالعمل لديهم يخضع أداؤه لطرق المراقبة ، والمحفزات المادية ، دون النظر إلى أخلاقيات تحكمه . أما في الإسلام فإن العمل لا يقتصر على العمال ، ولكنه ينسحب على أصحاب الأعمال والدولة ، فالعمل بالنسبة لهم جميعاً واجب له أخلاقياته ومبادئه ، والنتيجة أن يحدث تلاق يجعل واجبات فريق عبارة عن حقوق فريق آخر ، فأخلاقيات العمل توجب على العمال : الإخلاص ، والإحسان ، وعدم استغلال الوقت والمواد في غير مصلحة العمل ، وأخلاقيات العمل توجب على أصحاب الأعمال مقابلة الإحسان

---

(1) المعجم الكبير للطبراني ، ج ١٩ ، ص ١٧٢ ، حديث (٤٢٢) .

(2) تخريج أحاديث الإحياء للعراقي ، ج ٧ ، ص ٢٥٨ ، حديث (٣١٨٣) وقال : أخرجه الطبراني في الأوسط ، وكذلك رواه ابن أبي الدنيا من حديث أنس بإسناد ضعيف ، أ . هـ . بتصرف .

بالإحسان ، وتحرم عليهم الغش أو الاستغلال، كما توجب عليهم دفع مستحقات العمال دون تأخير أو تسويف أو هضم الحقوق .

وهكذا ينال العمال حقوقهم حتى دون مطالبتهم ، لأن حقوقهم هي واجبات أصحاب الأعمال ، كما يظفر أصحاب الأعمال بحقوقهم في الإتقان والمهارة إلخ .. لأنها واجبـات العمال ، كذلك يفترض أن يتـم هذا بالنسبة للفريق الآخر وهم "أصحاب العمل" ، لأنها واجبات عليهم ، وبتلك الأخلاقيات التي شرعها الإسلام في العمل يسير المجتمع في اتجاه واحد ، العامل يسير ، وصاحب العمل يسير ، والدولة تسير ، والجميع يكسب من هذا السير ، تبعاً لقواعد العدل الإسلامي ، ويتم هذا بنعومة واتساق ، وتنحسم شأفة التناقضات والصراعات التي تأتي من اختلاف المنطلقات ، وتعارض الغايات ، وانعدام الأخلاقيات الواحدة .

وبهذا يتحقق السلام الاجتماعي والتنمية الاقتصادية في وقت واحد ، وبأفضل ما يتصور .

دور الدولة المسلمة :

وظيفة الدولة في الإسلام ليست مقصورة فقط على حماية الأمن الداخلي، والدفاع أمام الغزو الخارجي ، وليست مهمتها – كما عرف في بعض المذاهب الاقتصادية – حماية الذين يملكون من الذين لا يملكون ، إنما مهمتها إيجابية شاملة ، ومرنة في الوقت ذاته ، بحيث تتسع دائرتها لكل التصرفات والإجراءات التي من شأنهـا أن ترفع الظلم ، وتقيم العدل بين الناس ، وتزيل عنهم الضرر والضرار ، وأسباب النزاع والصراع ، ليحل محله التعاون والإخاء [1] .

---

(1) فتاوى يوسف القرضاوي ، الانترنت .

فمثلاً لم نجد أحداً من علماء المسلمين اعترض على قانون لم يكن موجوداً في السابق كقانون المرور الذي ينظم السير ، ويضع بعض القيود على أصحاب السيارات وأمثالهم لمصلحتهم ومصلحة الجميع ، وإيقاع الجزاء على من يخالف ذلك ، حرصاً على منع تصادم السيارات ، وحرصاً على سلامة الأفراد . فالأولى أن نحرص على منع تصادم فئات المجتمع بعضها ببعض حرصاً على سلامة الجماعة كلها .

فمسئولية الدولة مطلقة غير مقيدة ، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم "كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته"[1] وهذا ما جعل عمر بن الخطاب ﷺ يقول : "لو هلك جديٌ بشط الفرات لرأيتني مسئولاً عنه أمام الله يوم القيامة" فهذا شعور بالمسئولية عن الحيوان ، فكيف بالإنسان ؟!

ومن ضمن مسئولية الدولة المطلقة تحقيق العدل والعدالة في المجتمع، وذلك لأن إقامة العدل في حياة الناس هدف من أهداف الإسلام الكبرى ، به قامت السموات والأرض ، وبه بعث الله الرسل ، وأنزل الكتب ، قال تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ﴾ [2] والقسط هو : العدل الذي به يتحقق التعادل أو التوازن بين الأشياء، دون ميل أو جور أو طغيان جانب على جانب .

---

(1) رواه البخاري ، ج ٣ ، ص ٤١٤ ، حديث (٨٤٤) .

(2) سورة الحديد ، آية رقم ٢٥ .

والعدل في العمل يكون في محافظة الدولة على حقوق أرباب العمل ، وفي نفس الوقت محافظتها على حقوق العمال ، كي لا يستغلوا فتضيع حقوقهم .

واجبات الدولة لإتقان العمل وما نتائجه :

على الدولة عبء كبير لإتمام أي عمل ، وإخراجه إلى حيز الوجود بما يعود بالخير والنفع على الأفراد والمجتمعات ، وبالتالي يؤدي إلى ازدهار الاقتصاد ، فيعم الخير والرخاء ، ولذلك عليها أن توفر كل الوسائل المتاحة التي تسهل لرعاياها أي عمل من الأعمال المباحة التي تخدم الفرد والمجتمع ، ثم تنشر أجواء الحرية التي تتيح لأصحاب رؤوس الأموال اختيار الأعمال التي يرغبون في تأديتها طالما أنها لا تتعارض مع الشرع الحنيف ، حتى ينتعش الاقتصاد ، ويعم الرخاء ، وذلك لأن الاقتصاد الإسلامي ينبني أساساً على أجواء الحرية بكل معانيها ، سواء كانت حرية العمل ، أو حرية الكسب ، أو حرية التملك والإنفاق ، إلا أن هذه الحرية مقيدة بقيود منها : عدم التجارة فيما حرم الله ، والابتعاد عن الربا في المعاملات المالية ، وعدم الغش أو الاحتكار وغير ذلك ، وينبغي على الدولة أن تتدخل لتطبيق هذه القيود المشروعة ، كما ينبغي عليها أن تتدخل لنشر الأجواء المشجعة على العمل المفيد للفرد والمجتمع والتي منها :

١- تشجيع سياسة الاعتماد على الذات :

يجب على الدولة أن تشجع سياسة الاعتماد على الذات وذلك بتسخير كل طاقاتها لتقنع الشعب بقدرته على الإنجاز ، ويدرك أن في إمكانه أن يحقق

ما يصبوا إليه ، وذلك بتفجير الطاقات المختزنة في جماهيرها ، والتركيز على الإمكانات المادية والبشرية ، ولتحقيق ذلك عليها الاستفادة من التراث الإنساني العام الذي تملكه البشرية .

فسياسة الاعتماد على الذات سياسة إسلامية أصيلة ، فمن غير المقبول إسلامياً ومذهبيا واقتصاديا أن تعتمد الأمة على غيرها في حل مشكلاتها .

أما مذهبياً فلأنه لا ينبغي أن يكون لغير المسلمين ولاية على المسلمين من أي نوع ، قال تعالى: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ [1] والاعتماد على الغير في الانجـــاز وفي حل المشاكل يعني القبول بتدخله في شئوننا ، فليست المعونة الأجنبية إلا منفذاً للتدخل في الشئون الاقتصادية لبلد ما[2] وهذا يؤدي في النهاية إلى التدخل في شئون الدولة المختلفة .

وأما اقتصادياً فلأن الاعتماد على الغير لن يحقق أدنى درجات التقدم المطلوب ، بل هو مخدر للشعوب يلهيها عن سلـــوك الطريق الصحيح – وهو الاعتماد على الذات – ولم يحدث في تاريخ الشعوب التي حققت التنمية أن قام لها بها غيرها [3] .

فمن هذا المنطلق نرى أنه يجب على الدولة أن تحث وتشجع وتقدم الحوافز المادية والأدبية لكل عمل يحتاج إليه المجتمع ، ولا يستغني عنه الناس في حياتهم . بحيث لو أعرض المواطنون أو المقيمون في ذلك البلد

---

(١) سورة النساء ، آية ١٤١ .

(٢) محبوب الحق ، ستار الفقر ، ص ١٠١ .

(٣) أ.د يوسف إبراهيم ، دراسات عربية وإسلامية . ج ٧ ، ص ٥٧ .

عن هذه الأعمال ، جاز لولي الأمر أن يجبرهم عليه بشرط أن يعطيهم الأجر العادل[1]. يقول ابن تيمية "إن ولي الأمر إن أجبر أهل الصناعات على ما يحتاج إليه الناس من صناعتهم كالفلاحة والحياكة والبناية ، فإنه بقدر أجرة المثـــل ، فلا يمكن المستعمل من نقص أجرة الصانع عن ذلك ، ولا يمكن الصانع من المطالبة بأكثر من ذلك حيث تعين عليه العمل وهذا من التسعير الواجب" [2].

٢- تشجيع الكسب المشروع ومحاربة الكسب الحـــرام :

يجب على الدولة أن تفتح المجال للكسب المشروع ، ولا تضع العراقيل والصعوبات أمام أي صاحب عمل يخدم بعمله المجتمـــع ، وفي نفس الوقت عليها أن تحارب وتلاحق كل من يعمل ويتاجـــر بالمحرمات التي حرمها الله ، والتي تعود على الناس والمجتمع بالضرر ، كتجارة المخدرات والخمور والدعارة والربا الذي يمحق البركـــة ، ويولّد الطبقية ، بحيث يزداد الغني غنا ، والفقير فقراً .

ويجب على الحاكم المسلم أن ييسر سبل العمل ما وجد إلى ذلك سبيلا، فإن الله جعله راعيا مسئولا عن رعيتـــه ، وإذا كان طالب العمل في حاجة إلى إعداد خاص ، أو تدريب مهني يستطيع به أن يجد العمل المناسب ، فمن واجب الجماعة والحكومة أن تساعد في ذلك ، حتى ينهض بعبء العمل وحده، دون طلب لمعونة أو صدقة ، وإذا كان في حاجة إلى رأس مال ليفتح متجرا أو مشروعا نافعا ، أو في حاجة إلى مزرعة أو قطعة أرض ليعمل بها، أو في حاجة إلى أدوات لصنعة وآلات لحرفة فيجب على ولي الأمر أن يوفر له من مال الزكاة أو غيرها من موارد الدولة ما يحتاج إليه ، حتى يستطيع

---

(1) دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٧٨ .

(2) ابن تيمية ، الحسبة ، ص ٣٤ .

أن يقوم بعمل نافع له ولمجتمعه ، وحتى لا يعيش عالة على الآخرين يتكففهم إلحافا .

وعلى المجتمع الإسلامي – حكاما ومحكومين – أن يجندوا كل طاقاتهم ويستغلوا كل ما يحتاجون إليه من ثرواتهم ، ويستخدموا كل ما لديهم من قوة بشرية ومادية للتغلب على وحشية الفقر ، وتحطيم أنيابه الكاسرة ، إذ لاشك أن زيادة الإنتاج وتنميـــة موارد الثروة بوجه عام لها أثرها الفعال في محاربة الفقر .

وعلى أبناء المجتمع المسلم أن يعملوا متضامنين على سد كل ثغرة في بنيان مجتمعهم ، وأن يبحثوا عن الأعمال والمشروعات والحرف والصناعات التي تفتقر إليها الأمة في كل مجال ، وأن يهيئوا لها من يقوم بها ويحسنها ، فهذا فرض كفاية على الأمة المسلمة إن قام به البعض سقط الإثم والحرج عن سائرها ، وإن لم يقم به أحد طوق الإثم عامة الأمة ، وأولي الأمر فيها خاصة [١].

٣- محاربة الاحتكار والغش :

حرم الإسلام الاحتكار والغش ، والاحتكار هو أن يعمد شخص إلى سلعة من السلع الضرورية التي يحتاج إليها الناس ولا يستطيعون الاستغناء عنها ، فيشتري ما يستطيع منها ، ويقوم بتخزينها ومنعها عن المحتاجين إليها حتى يقل المعروض منها ، وتشتد حاجة الناس إليها ، فيرتفع ثمنها ، فيبيع ما عنده بحسب هواه ، وكما يزين له شيطانه ، فيستغل حاجة المحتاجين ، ويقع الفقراء في ضيق شديد في حين تزداد ثروة المحتكر الآثم[٢] .

---

(١) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ص ٥٣-٥٤ .

(٢) دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٧٩ .

ولا يقوم بالاحتكار إلا العاصي المذنب كما قال الرسول ﷺ "لا يحتكر إلا خاطئ" [1] والخاطئ هو المتعمد للخطأ ، فهو المذنب العاصي الآثم ، وكما قال رسول الله ﷺ "من دخل في شيء من أسعار المسلمين ليغليه عليهم كان حقاً على الله أن يقعده بعُظْم من النار يوم القيامة" – أي بمكان عظيم من النار[2] .

وفي عصرنا هذا وُجِدَ كثير من التجار يحتكرون أنواعاً عديدة من السلع الضرورية ، ويحددون سعرها كيفما شاءوا ، مستغلين حاجة الناس إليها، فتضخمت ثرواتهم يوماً بعد يوم على حساب غيرهم من الفقراء والمحتاجين من أصحاب الدخل المحدود [3] .

فيجب على الدولة أن تمنع الاحتكار والاستئثار بالثروة ، وإذا كان الإسلام قرر أن الناس شركاء في ثلاث : الماء ، والكلأ ، والنار ، واعتبر أن هذه الأشياء ضرورية للغاية ، لا يمكن لأحد أن يستغني عنها ، وبالتالي فلا يجوز لأحد احتكارها لأن في احتكارها ضرر كبير على الأفراد والمجتمعات ، وإذا كان الأمر كذلك في أن ما يحتاجه الناس لا يجوز احتكاره فإنه بالتالي يمكن لفقهاء المسلمين أن يقيسوا على هذه الأشياء الثلاثة غيرها إذا رأوا أن هناك مستجدات لم تكن موجودة سابقاً لا يستغنى عنها الناس ، فالضروريات تختلف من عصر إلى عصر ، ومن بيئة إلى بيئة . ولولي الأمر أن يجبر المحتكر لأي سلعة من السلع المهمة للناس على بيعها بالثمن المناسب ، بحيث لا يَظْلم ولا يُظْلم ، فإن امتنع المحتكر عن البيع فللحاكم أن يستولي

---

(1) رواه مسلم ، ج ١٠ ، ص ٤٤٤ ، حديث (٤٢٠٧) .

(2) رواه أبو داود الطيالسي في مسنده . ج ١ ، ص ١٢٥ ، حديث (٩٢٨) .

(3) دراسات في الثقافة الإسلامية ، ص ٣٨٠ .

على الأشياء المحتكرة ويبيعها للناس ،ثم بعد ذلك يعطي صاحبها الثمن الذي يحقق العدل للبائع والمشتري[1] .

وفي الفقه الإسلامي باب واسع أمام الدولة المسلمة تستطيع أن تلج منه لتحقيق ما تراه من إصلاحات مناسبة ، أو سن ما تراه من قوانين صالحة، أو اتخاذ ما تراه من إجراءات وقائية أو علاجية لظاهرة معينة ما دامت لا تعارض نصاً محكماً ، ولا قاعدة ثابتة ، فكل ما يرى ولي الأمر فعله أقرب إلى الصلاح للرعية ، وأبعد عن الفساد ، فله أن يفعله ، بل قد يجب عليه وإن لم يرد في ذلك نص خاص ، ولهذا قام الصحابة والخلفاء الراشدون بأعمال عديدة رأوا فيها خيراً ومصلحة ولم يفعلها الرسول صلى الله عليه وسلم قبلهم ولا أذن لهم بفعلها بنص جزئي .

مثل تحريق عثمان بن عفان ﷺ المصاحف ، وجمع الأمة على مصحف واحد ، فهذا رأيه ورأي الصحابة من بعده اعتماداً على مصلحة الأمة [2] .

٤- الزكـــاة :

يقول الشيخ القرضاوي : إن من معجزات هذا الدين ، ومن الدلائل على أنه الرسالة الخاتمة الخالدة : أنه سبق الزمن وتخطى القرون ، فعنى بعلاج مشكلة الفقر ورعاية الفقراء دون ثورة منهم ، ولا مطالبة من فرد أو من جماعة بحقوقهم ، ولم تكن عنايته هذه عناية سطحية ، أو عارضة ، أو ثانوية في تعاليمه وأحكامه ، بل كانت من خاصة أسسه ، وصلب أصوله ألا وهي - الزكاة - التي ضمن الله بها حقوق الفقراء والمساكين في أموال

---

(1) ابن تيمية ، الحسبة .

(2) فتاوى القرضاوي ، الانترنت .

الأمة ، وفي عنق الدولة ، فالزكاة ثالثة دعائم الإسلام ، وأحد أركانه العظام ، وشعائره الكبرى[1] ، لا يقوم الإسلام إلا بها ، يقاتل مانعها ، ويكفر جاحدها . ولا يعتبر ضمن جماعة المسلمين وتثبت له أخوتهم الدينية التي تجعله فرداً منهم له مالهم وعليه ما عليهم إلا بإيتاء الزكاة .

وقد قرن الله عز وجل الصلاة بالزكاة دائماً مما يدل دلالة قاطعة على قوة الاتصال بينهما ، فالصلاة عمود الإسلام ، والزكاة قنطرة الإسلام . يقول عبدالله بن مسعود ﷺ : "أمرتم بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، ومن لم يزك فلا صلاة له" [2] .

وقال جابر عن زيد : "افترضت الصلاة والزكاة جميعاً ، لم يفرق بينهما" ، وقرأ : ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَآتَوُاْ الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [3] وقال : "رحم الله أبا بكر ما كان أفقهه !" يعني بذلك قوله : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة" .

لقد جعل القرآن إيتاء الزكاة من أوصاف المؤمنين والمحسنين والأبرار المتقين ، وجعل منعها من خصائص المشركين والمنافقين . فهي محك الإيمان ، وبرهان الإخلاص كما جاء في الصحيح "والصدقة برهان" وهي فيصل التفرقة بين الإسلام والكفر ، وبين الإيمان والنفاق ، وبين التقوى والفجور . فبغير إيتاء الزكاة لا ينتظم المرء في عقد المؤمنين الذين كتب الله لهم الفلاح ، قال تعالى : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ، وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴾ [4] .

---

(1) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ص ٦٩ .

(2) تفسير الطبري ، ج ١٤ ، ص ١٥٣ . ط . المعارف .

(3) سورة التوبة ، آية رقم ١١ .

(4) سورة المؤمنون ، آية رقم ١-٤ .

ولقد توعد الله عز وجل مانعي الزكاة بالعقوبة الشديدة في الدنيا والآخرة ، فعن عقوبتهم في الآخرة قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ، يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ﴾[1] . ويقـول تعالى : ﴿ وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [2] .

وعن عقوبتهم في الدنيا يقول الرسول عليه الصلاة والسلام : "ما منع قوم الزكاة إلا ابتلاهم الله بالسنين"[3] أي : بالقحط والمجاعة ، وفي حديث آخر : "ولم يمنعوا زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء ، ولولا البهائم لم يمطروا"[4] .

مسئولية الدولة عن شئون الزكاة :

الزكاة يعد أول تشريع منظم في سبيل ضمان اجتماعي ، غايتها تحقيق الكفاية لكل محتاج ، الكفاية في المطعم والملبس ، والمسكن ، وسائر حاجات الحياة ، لنفس الشخص ، ولمن يعوله ، في غير إسراف ولا تقتير .

والزكاة في النظرية الإسلامية حق أو دَيْنٌ في أعناق الأغنياء للفئات الضعيفة والمستحقة ، وهي كذلك حق معلوم ، أي : محدد النسبة والمقدار ، يعلمه كل من الغني الذي يدفع والفقير الذي يأخذ ، والذي قرر هذا الحق وحدده هو الله تعالى .

---

(1) سورة التوبة ، آية رقم ٣٤-٣٥ .

(2) سورة آل عمران ، آية رقم ١٨٠ .

(3) رواه الطبراني في الأوسط ، ج ٥ ، ص ٢٦ ، حديث (٤٥٧٧) .

(4) رواه ابن ماجه ، ج ١٢ ، ص ١٧٥ ، حديث (٤١٥٥) .

والزكاة ليست إحساناً فردياً ، وإنما هي تنظيم اجتماعي تشرف عليه الدولة ويتولاه جهاز إداري منظم ، يقوم على هذه الفريضة الفذة ، يأخذ الزكاة ممن تجب عليهم ، ويصرفه إلى من تجب لهم .

ولهذا قال العلماء : يجب على الإمام أن يبعث السعاة لأخذ الزكاة ، لأن النبي ﷺ والخلفاء من بعده كانوا يبعثون السعاة ، لأن في الناس من يملك المال ولا يعرف ما يجب عليه ، ومنهم من يبخل فيجب أن يُبْعَث من يأخذ منه[1] .

أما أرباب الأموال من الناس فيجب عليهم أن يساعدوا هؤلاء السعـاة على أداء مهمتهم ، ويؤدوا إليهم ما وجب عليهم ، ولا يكتموهم شيئاً من أموال زكاتهم ، ومن يمتنع منهم عن دفع الزكاة فيحق لولي الأمر أن يوقع عليه العقوبة ، لما جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم في الزكاة : "من أعطاها مؤتجراً (أي : طالباً الأجر) فله أجرها ، ومن منعها فأنا آخذها وشطر ماله (أي : نصفه) عزمة من عزمات ربنا ، لا يحل لآل محمد منها شيء" [2]. فهذا الحديث الشريف يجيز لولي الأمر مصادرة نصف مال من امتنع عن أداء زكاته، وهو نوع من العقوبة المالية التي يتخذها الحاكم عند الحاجة ليؤدب بها الممتنعين والمتهربين ، وليس ذلك عقوبة لازمة ولا دائمة، وإنما هو من العقوبات التعزيرية التي تخضع لتقدير أُولي الأمر ، واجتهاد أهل الحل والعقد في المجتمع المسلم .

ولم تقف عقوبة مانع الزكاة عند الغرامة المالية فحسب ، بل يجوز لولي الأمر أن يستعمل العقوبة البدنية والحبس وغيرها ، حسب المصلحة

---

(1) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر ص ٨٢ .

(٢) رواه النسائي ، ج ٢ ، ص ٨ ، حديث (٢٢٢٤) .

والحاجة[1] ولهذا قاتل الخليفة الأول أبو بكر الصديق ﷺ ومعه الصحابة الكرام رضي الله عنهم مانعي الزكاة ، وقال كلمته المشهـورة : "والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، والله لئن منعوني عقالا كانوا يؤدونـه لرسـول الله ﷺ لقاتلتهم عليه"[2] . وعلى هذا النهج سار الصحابة الكرام رضوان الله عليهم ، فقد ورد عن سهل بن أبي صالح عن أبيه قال : اجتمع عندي نفقة فيها صدقة – يعني بلغت نصاب الزكاة – فسألت سعد بن أبي الوقاص ، وابن عمر ، وأبا هريرة ، وأبا سعيد الخدري : أن أقسمها أو أدفعها إلى السلطان ؟ فأمروني جميعاً أن أدفعها إلى السلطان ، ما اختلف على منهم أحد [3] . وعن ابن عمر – رضي الله عنهما – قال : "ادفعوا صدقاتكم إلى من ولاّه الله أمركم ، فمن برّ فلنفسه ، ومن أثم فعليها" [4] .

ومن هنا نعلم أن الإسلام جاء برسالة شاملة هاديـة ، فجعلت من أهدافها تحرير الفرد وتكريمه ، وترفيه المجتمع وإسعاده ، وتوجيه الحكومات إلى الحق والخير ، فلم يجعل الزكاة من شئون الفرد ، بل من مهام الحكومـة الإسلامية ، فوكل الإسلام إلى الدولة جبايتها ، وتوزيعها على مستحقيها ، لا إلى ضمائر الأفراد ، وذلك لعدة أسباب منها :

١- أن كثيراً من الأفراد تموت ضمائرهم ، أو يصيبها السقم والهزال بسبب حب الدنيا أو حب الذات ، فلا ضمان للفقير إذا ترك حقه لمثل هؤلاء .

---

(1) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر ، ص ٧٣ .
(2) رواه البخاري ، ج ٢٤ ، ص ١٩١ ، بـاب قول الله تعالى : (وأمرهم شورى بينهم) . ومسلم ، ج ١ ، ص ١٥٤ ، حديث (١٣٣)
(3) رواه ابن أبي شيبه ، وسعيد ابن منصور .
(4) رواه ابن أبي شيبه ، ج ٣ ، ص ٤٧ ، حديث (٢) .

٢- أن في أخذ الفقير حقه من الحكومة لا من الشخص الغني فيه محافظة على كرامته ، وصيانة لماء وجهه من أن يراق بالسؤال ، ورعاية لمشاعره من أن يجرحها المن والأذى .

٣- أن ترك هذا الأمر للأفراد يجعل التوزيع فوضى ، فقد ينتبه أكثر من غني لإعطاء فقير واحد ، على حين يغفلون عن آخرين ، فلا يفطن إليه أحد ، وربما كان أشد فقراً .

٤- أن صرف الزكاة ليس مقصوراً على الأفراد من الفقراء والمساكين وأبناء السبيل ، فمن الجهات التي تصرف فيها الزكاة مصالح عامة المسلمين ، لا يقدرها الأفراد ، وإنما يقدرها أولوا الأمر ،وأهل الشورى في الجماعة المسلمة ، مثل إعطاء المؤلفة قلوبهم ، وإعداد العدة والعدد للجهاد في سبيل الله ، وتجهيز الدعاة لتبليغ رسالة الإسلام .

٥- أن الإسلام دين ودولة، وقرآن وسلطان، ولابد لهذا السلطان وتلك الدولة من مال تقيم به نظامها، وتنفذ بها مشروعاتها، والزكاة مورد مُهِمٌّ دائم لخزانة الدولة[١].

العبادة لا تتعارض مع العمل :

من الناس من يَدَع العمل بحجة التبتل لطاعة الله تعالى ، والانقطاع الكامل لعبادته التي من أجلها خلق الإنسان ، مستدلين بقوله تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾[٢] .

فيعتقد هؤلاء خطأ أنه لا يجوز للإنسان أن يُقْبِلَ على الدنيا وَيَنْشَغِل فيها، ويلهى عن الغاية التي خلق من أجلها ، ألا وهي عبادة الله تعالى ، بل يجب على الإنسان أن يتفرغ لعبادة ربه ، كالرهبان في الأديرة ، لأن الله عز

---

(1) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر ، ص ٨٤-٨٥ .

(2) سورة المزمل ، آية رقم ٢٠ .

وجل ضمن الرزق لجميع عباده ، بل لكل كائن حي يدب على هذه الأرض ، محتجين بقوله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الأَرْضِ إِلاَّ عَلَى اللّهِ رِزْقُهَا ﴾ [1] وقولـــه تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾[2] .

وينبه الشيخ القرضاوي تلك الفئة من الناس إلى أن سنة الله في الخلق اقتضت أن هذه الأرزاق التي ضمنها والأقوات التي قدرهـــا ، والمعايش التي يسرها ، لا تنال إلا بجهد يبذل ، وعمل يؤدى ، ولهذا رتب الله سبحانه وتعالى الأكل من رزقه على المشي في مناكب أرضه ، فقال تعالى : ﴿ فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ﴾ [3] فمن مشى أكل، ومن كان قادراً على المشي ولم يمشي كان جديراً ألا يأكل[4].

وقد روى أن عمر بن الخطاب ﷺ رأى بعد الصلاة قوماً قابعين في المسجد ، بدعوى التوكل على الله ، فعلاهم بدرته ، وقال كلمته المشهورة : "لا يقعدن أحكم عن طلب الرزق ويقول :اللهم ارزقني ، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة" ، وإن الله تعـــالى يقول : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ ﴾ [5].

وقد بيَّن النبي ﷺ أنه لا رهبانية في الإسلام ، وأن العمل الدنيوي إذا أتقن وصحت فيه النية كان هذا العمل عبادة يتقرب فيها العبد لله ، وأنّ سَعْيَ الإنسان على معاشه ليعف نفسه أو يعول أهله ، أو يُحْسِنَ إلى ذوي رحمه وجيرانه ، أو ليعاون في عمل الخير ، ونصرة الحق ، إنما هو ضرب من

---

(1) سورة هود ، آية رقم ٦ .

(2) سورة الذاريات ، آية رقم ٦٥ .

(3) سورة الملك ، آية رقم ١٥ .

(4) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ص ٤٢ .

(5) سورة الجمعة ، آية رقم ١١ .

الجهاد في سبيل الله ، ولهذا قرن الله عز وجل بينهما في قوله تعـالى : ﴿ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾[1].

وقد روى عن عمر بن الخطاب ﷺ قوله : "ما من حال يأتيني عليها الموت – بعد الجهاد في سبيل الله – أحب إليَّ من أن يأتيني وأنا ألتمس من فضل الله" ثم تلا الآية السابقة .

وسئل إبراهيم النخعي – أحد أئمة التابعين – عن التاجر الصدوق : أهو أحب إليك أم المتفرغ للعبادة ؟ فقال : التاجر الصدوق أحب إليَّ ، لأنه في جهاد : يأتيه الشيطان من طريق المكيال والميزان ، وَمِنْ قِبَلِ الْأَخْذِ والْعَطاءِ فيجاهده[2] .

النهي عـن البطالـة :

إذا كان الإسلام قد حث على العمل وحبب إليه . فإنه في المقابـل أبغض التبطل ومقته ، وذم من يقعد عن العمل . لأن البطالة تجعل صاحبها عالة على غيره ، وعبئاً على مجتمعه ، وهذا يؤدي حتماً إلى ركود الحياة وجمودها . والله سبحانه وتعالى ما خلق الحياة لتكون راكدة جامدة ، والعازف عن العمل بإرادته يعتبر عاص لله ، لأنه خالف تعاليم ربه بعمارة الأرض ، وقد ورد في الأثر "أن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المكفى الفارغ" والمقصود بالمكفى الذي يكفيه غيره ضرورات حياته ، والفارغ هو المتعطل الذي يخلد إلى البطالة والكسل[3] .

---

(1) سورة المزمل ، آية رقم ٢٠ .

(2) يوسف القرضاوي ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، ص ٤٤ .

(3) د. بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٤٢ .

إن هذا العالم لا تنشق الأرض عن خيره ، ولا يهبط النعيم من سمائه، دون سعي من الإنسان ، أو دون استثارة تجيء فيها النتائج على قدر الكفاح المبذول، فلا حصاد بدون غرس ، ولا وفرة في الإنتاج دون كثرة في الجهود[1]. وقد حمّل الإسلام الحكومات في هذا العصر وفي كل عصر مسئولية توفير العمل وتمهيد ميادينه ، وتقريب مناله لكل طالب عمل ، ومساعدته على توفير آلات العمل ، فليس التعطل مشكلة فردية ، بل هو أزمة اجتماعية . ومن الحماقة التهوين من مصيبة البطالة ، أو من آثارها المادية والمعنوية ، فالبطالة تأكل الدولة وتجرها إلى الحضيض . ومن الأسباب التي أدت إلى تأخر العالم الإسلامي التعطل الفاشي في مختلف أقطاره ، وإلى القوى المهدرة التي حبسها الشلل في جلود أصحابها ، فهم أحياء أموات . !! [2] قد يكون بعضهم محزوناً حائراً لأنه يبحث عن مورد رزق فلا يجد ، وقد يكون بعضهم تبلد لطول ما ألف البطالة . ولهذا يجب أن يصبح العمل ضريبة يلزم بها كل فرد ، وقد قال عمر بن الخطاب ﷺ "إن الله خلق الأيدي لتعمل ، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية" [3] .

فالدولة مسئولة عن إيجاد شتى أنواع الحرف للعاطلين ، وافتتاح أبواب الرزق من أبعد مظانها ، حتى تضمن موارد ثروة لهم ولها ، فالنبي صلى الله عليه وسلم وجه العاطلين للعمل ، وعدَّ نفسه مسئولاً عن القاعد حتى يعمل ، والمحتاج حتى يجد . فإذا امتنع المسلم عن العمل وهو قوي الجسد ، قادر على العمل ، لأن هناك من يعوله ويقوم على احتياجاته متطوعاً أو من باب الصدقة ، فإنه يحق لولي الأمر معاقبته ، لقول الرسول ﷺ :

---

(1) الغزالي ، نظرات في القرآن ، ص ٦٠ .

(2) محمد الغزالي ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص ٤٨ .

(3) د. بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٤٣ .

"ولا حظ في الصدقة لغني ولا لقوي مكتسب" [1] وقال : "لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي" [2] .

وروي أن عيسى عليه السلام رأى رجلاً فقال : ما تصنع ؟

قال : أتعبد

قال : من يعولك ؟

قال : أخي

قال : أخوك أعبد منك[3] .

وقال لقمان الحكيم لابنه : يا بني ، استعن بالكسب الحلال عن الفقر ، فإنه ما افتقر أحد قط إلا أصابه ثلاث خصال : رقة في دينه ، وضعف في عقله، وذهاب مروءته . وأعظم من هذه الثلاث : استخفاف الناس به .

وقيل لأحمد : ما تقول فيمن جلس في بيته أو مسجده وقال لا أعمل شيئاً حتى يأتيني رزقي ؟ فقال أحمد : هذا رجل جَهِلَ العلم ، أما سمع قول النبي ﷺ "إن الله جعل رزقي تحت ظل رمحي" [4] وقوله ﷺ حين ذكر الطير فقال : "تغدوا خماصاً وتروح بطاناً" [5] فذكر أنها تغدوا في طلب الرزق .

---

(1) رواه أحمد والنسائي ، حديث (٢٦١٠) .

(2) رواه أبو داود ، ج ٥ ، ص ١٨٢ ، حديث (١٦٣٦) .

(3) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٦٢ .

(4) رواه أحمد ، ج ١١ ، ص ٢١٠ ، حديث (٥٢٣٢) .

(5) رواه ابن حبان ، ج ٢ ، ص ٤٨٠ ، حديث (٥٠٩) .

وكان أصحاب رسول الله ﷺ يتاجرون في البر والبحر، ويعملون في نخيلهم ، ويجب علينا أن نقتدي بهم[1] . يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "من يأكل ولا يعمل موته خير من حياته وعدمه خيرٌ من وجوده" [2] .

النهي عـن التسول :

نهى الإسلام عن التسول ولم يجزه بأي حال من الأحوال . وربى الإسلام أتباعه على عزة النفس والعطاء ، وكره لهم المذلة والسؤال . كما كره لهم أن يعيشوا عالة على غيرهم يأكلون من كدهم وعرق جبينهم . وقد وجه رسول الله ﷺ أمته بقوله : "لأن يغدوا أحدكم فيحتطب على ظهره ، فيتصدق به ويستغنى به من الناس خير له من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه ذلك ، فإن اليد العليا أفضل من اليد السفلى ، وابدأ بمن تعول" [3] .

بل نجد أن رسـول الله ﷺ يحـذر المسلمين من السـؤال فقال : "لا تزال المسألة بأحدكم حتى يلقى الله تعالى وليس في وجهه مزعة لحم" [4] . وهذا كناية عن ضياع ماء الوجه ، وذهاب الكرامة ، ونضوب الحياء من الوجه الذي يتعاطى السؤال دون ضرورة موجبة[5] .

وقد ورد عن أبي كبشة الأغاري رضي الله عنه – في حديث طويل – أنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : "ثلاث أُقْسِمُ عليهن، وأحدثكم حديثاً فاحفظوه . قال : فأما الثلاث الذي أقسم عليهن : فإنه ما نقص مال عبد من صدقة ، ولا

---

(1) الغزالي ، إحياء علوم الدين ، ج ٢ ، ص ٦٣ .

(2) موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة ، ص ٤٥٥ .

(3) رواه البخـاري ، الفـتح، ج ٣ ، حـديث (١٤٧٠) ومـسلم، حـديث (١٠٤٢) واللفظ له .

(4) رواه مسلم ، ج ٦ ، ص ٤٠٢ ، حديث (٢٤٤٣) .

(5) د . بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٤٣ .

ظُلم عبد بمظلمة فيصبر عليها إلا زاده الله – عز وجل – بها عزاً ، ولا يفتح عبدٌ باب مسألة إلا فتح الله له باب فقر"[1].

بل إن النبي ﷺ ذهب إلى أبعد من ذلك في التنفير من التسول عندما أبى عليه الصلاة والسلام أن يصلي على متسول مات وعنده مال جمعه من هذا الطريق ، فعن مسعود بن عمرو عن النبي ﷺ أنه أتى برجل ليصلي عليه فقال : "كم ترك ؟ قالوا دينارين أو ثلاثة ، قال : ترك كيَّتين أو ثلاث كيّات ، فلقيت عبدالله بن القاسم مولى أبي بكر ﷺ فذكرت ذلك له فقال : ذاك رجل يسأل الناس تكثراً" [2].

وإذا كان الإسلام قد أبغض الاستجداء والتسول وحرمه فإنه أراد بذلك أن يكون المسلمون أعزاء عاملين منتجين ، أعضاء فاعلين ، لهم دور في تعمير الكون ، ولا يكونوا عالة على الآخرين ، إلا إذا كانوا عاجزين عن العمل لسبب من الأسباب ، أو لعذر قاهر منعهم عن القيام بواجبهم في مجتمعهم ، ومنعهم عن التكسب بما يستطيعون به الاقتيات هم ومن يعولونهم، وفي مثل هذه الحالات فإنه يجب على هؤلاء العجزة أن يرفعوا حاجاتهم إلى الدولة فهي المسئولة عن سد حاجاتهم[3] وفي ذلك يقول النبي ﷺ : "إن المسألة كد يكد بها الرجل وجهه ، إلا أن يسأل الرجل سلطاناً أو في أمر لابد منه" [4] .

وعلى الدولة أن تعاقب المتسول ، بل وتصادر حصيلة هذه الحرفة الرذيلة الدنيئة ، ولا تترك صاحبها ، لأن كل مال كسبه صاحبه من سحت لا

---

(1) جزء من حديث الترمذي (٢٣٢٥) وأحمد (٤-٢٣١) واللفظ له حديث (١٨٠٤٥) .

(2) رواه ابن أبي شيبه ، ج ٣ ، ص ٢٤٩ ، حديث (١) .

(3) د. بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٤٤ .

(4) رواه ابن حبان ، ج ١٤ ، ص ٢٧٣ ، حديث (٣٤٥٥) .

حقٌ له فيه . إلا إذا ارتكبت الدولة إثم التقصير عن تلبية الحاجات الأساسية له[1] ، قال عليه الصلاة والسلام : "إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : لذي فقر مدقع ، أو لذي غُرْم مفظع ، أو لذي دم موجع" [2] .

مكانة أصحاب الحرف والمهن في الإسلام :

كان العرب في السابق يحتقرون الحرف والأعمال اليدوية حتى أن أحد الشعراء يهجو غريمه بأن أحد جدوده كان قينا "أي حداداً" ، فكأن وضع بهذا وصمة عار في جبين القبيلة إلى الأبد ، ولذلك كان كثير من الناس في القبائل العربية يعزفون عن الحرف والأعمال اليدوية استهانة بها ، واحتقاراً لها .

فلما جاء الإسلام بدّل هذه المفاهيم المغلوطة ، ورفع قيمة العمل أيًا كان نوعه ، إذا كان مؤطراً بإطار الشرع ، وحقّر من شأن البطالة والاتكال على الآخرين ، وبيّن لهم أن كل كسب من أي عمل من الأعمال المشروعة سواء أكانت تلك الأعمال عظيمة أو ممتهنة في نظر بعض قصاري النظر هو كسب حلال وصاحبه يثاب عليه من الله عز وجل في الدنيا والآخرة . وإن نظر إليه بعض الناس نظرة استهانة أو انتقاص[3] .

وذلك لأن الإسلام يقدر الأعمال المشروعة مهما كان وضعها وكنهها بين الناس فطالما أنها مشروعة فصاحبها في طاعة ربه مادام يؤديها على خير وجه ، ومؤديـــها يحبه الله عز وجل ورسوله ﷺ ودليلنا على ذلك أن نبينا ﷺ قال: "من أمسى كالاً – تعباً – من عمل يده، أمسى مغفوراً له" [4] .

---

(1) د. بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٤٤ .

(2) رواه أحمد في المسند، (٣ / ١٢٧ ، ٥ / ٦٠)، والطبراني في الكبير (١٨ /٣٧١) .

(3) يوسف القرضاوى ، مشكلة الفقر ، ص٤٤ .

(4) ذكره المنذري في الترغيب والترهيب (٢-٥٢٤) والهيثمي في مجمع الزوائد (٤-٦٣) .

ويقول في حديث آخـــر : "إن الله تعالى يحب العبد المؤمن المحترف" [١] ، وأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله : كان آدم عليه السلام حراثا ، ونوح نجارا ، وإدريس خياطا ، وإبراهيم ولوطا زراعين ، وصالح تاجرا ، وداود زرادا ، وموسى وشعيب ومحمد صلوات الله تعالى عليهم وسلم رعاة[٢]. وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : تعلَّموا المهنة فإنه يوشك أن يحتاج أحدكم على مهنته [٣] .

ومن هنا فالإسلام يقدر أصحاب الحرف والمهن المشروعة مهما كانت ويعلي من شأنهم طالما أن هذه الأعمال وتلك المهن تخدم المجتمع المسلم وتسد احتياجاته وذلك لأن المجتمع المسلم يحتاج لكل الأعمال ، وكافة الصناعات والحرف ، حتى يرتقي ويسمو ، ويؤدي دوره في عمارة الأرض التي استخلفه الله تعالى فيها . قال تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلاَئِفَ الأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [٤]

ويقول تعالى في آية أخرى : ﴿ وَاللّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الْرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاء أَفَبِنِعْمَةِ اللّهِ يَجْحَدُونَ ﴾[٥] . فالآية تدل على أن الله تعالى استخلف الناس في الأرض ليعمروها ، وليكدحوا فيها ، وفاوت بينهم فيما منح من الوسائل الأدبية والمادية التي تعين على ذلك .

---

(1) ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠-٢٠٠) .

(2) ابن قدامه المقدسي ، مختصر منهاج القاصدين ، ص ٨١ .

(3) د. روحي البعلبكي . موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة ، ص ٤٥٤ .

(4) سورة الأنعام ، آية رقم ١٦٥ .

(5) سورة النحل ، آية رقم ٧١ .

ويقول سبحانه تعالى : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1]. فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة يشير إلى أن جسم الدولة كجسم الإنسان، لابد فيه من رأس مدبر ، وعقل مفكر ، ومن أطراف تُسخَّر للتنفيذ ، وأعضاء يستعان بهم على بلوغ الغايات المقصودة . والمصـــالح العامة لأية دولة لابد فيها من تنوع الوظائف حيث تشتمل على وظائف علمية ووظائف عملية ، وإلى وظائف مدنية ووظائف عسكرية ، وإلى وظائف زراعية ووظائف صناعية[2] . ولكي ترتقي الدولة ويعلو شأنها يجب أن يختار لكل وظيفة من يستطيع القيام بأعبائها ممن لديه الموهبة والقدرة . فلا بد من مهندس للمصنع يعمل فيه بعقله ، ولا بد من عامل يشتغل فيه بيده ، فهذا يوجه ، وذاك ينفذ ، هذا هو معنى التسخير المذكور في الآية ، تسخير نظام وعمل ، وليس تسخير قهر وإذلال . هو مبدأ تعاون تام ، واشتراك عام في بناء مجتمع صالح منتج يعتمد على نفسه ، غير محتاج لغيره . وهناك ملحظ آخر لقوله سبحانه في نفس الآية "ليتخذ بعضهم بعضا سخريا" هو أن الكل مسخر للكل ، الكبير مسخر للصغير ، والصغير مسخر للكبير ، فصاحب الوظيفة المرموقة يخدم صاحب الوظيفة المتواضعة ، وصاحب الوظيفة المتواضعة يخدم صاحب الوظيفية المرموقة وهكذا .

ولأهمية العمل والكسب المشروع في الإسلام نرى أن الرسول ﷺ كان يحث المسلمين على الكسب والعمل ، وكان من أشد الناس حرصاً على تأكيد قيمة العمـــل الحرفي والمهني في نفوس أتباعه ، وتثبيت معنى أن السعي في

---

(1) سورة الزخرف ، آية رقم ٣١-٣٢ .

(2) محمد الغزالي ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، ص ١٨ .

الرزق إنما هو جهاد في سبيل الله[1] بدليل أنه في أحد الأيام وبينما كان رسول الله ﷺ جالس مع أصحابه مرَّ عليهم رجل فيه جد ونشاط كبير، فقال أصحاب رسول الله لو كان هذا في سبيل الله . فقال رسول الله ﷺ : "إذا كان خرج يسعى على ولده صغاراً فهو في سبيل الله ، وإن كان خرج يسعى على أبوين شيخين كبيرين فهو في سبيل الله، وإن كان خرج يسعى على نفسه يعفها فهو في سبيل الله ، وإن كان خـــرج يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"[2] .

إن الإسلام رسم خطاً مشرقاً للحياة الإنسانية على ظهر الأرض عندما رفع من قيمة العمل - أي عمل يخدم الإنسانية - وجعل من هذا العمل الدنيوي طريقاً إلى الجنة إن أخلص صاحبه النية .

فمثلاً الزراعة عمل من صميم أعمال الحياة الدنيا ، فانظر كيف إذا صحبته نية صالحة ، فإنه يتحول إلى عمل للجنة وجهد للآخرة . عن جابر ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ "ما من مسلم يغرس غرساً إلا كان ما أكل منه صدقـــة ، وما سرق منه له صدقة ، ولا يزرؤه أحد إلا كان له صدقة إلى يوم القيامـــة" . وفي رواية "ما من مسلم يغرس غرسا أو يزرع زرعا فيأكل منه طير أو إنسان أو بهيمة إلا كان له به صدقة"[3] .

قد تكون الزراعة أو أي عمل نافلة يتقرب بها العبد إلى ربه ، ولكن إذا دعت الحاجة الماسة لها وارتبطت تلك الأعمال أو بعضها بأقوات الشعب

---

(1) د. بدر الماص ، التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، ص ٥٦ .

(2) رواه البيهقي في السنن الكبرى ، ج ٧ ، ص ٤٧٩ .

(3) رواه البخاري ، ج ٨ ، ص ٣٨٥ ، حديث (٢٣٢٠) ومسلم ، ج ١٠ ، ص ٢٦٣ ، حديث (٤٠٥٠) .

وأمنه فتتحول من نافلة إلى فريضة يعتبر التقصير فيها خيانة لله وللرسول[1]. وكذلك التجارة فالعمل فيها عبادة إذا أخلص صاحبه نيته ووجهها لخدمة الاقتصاد الإسلامي ، يقول الرسولﷺ : " التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء "[2].

ومثل الزراعة والتجارة كل حرفة يتكسب بها المسلم ، ويقيم عليها حياته ، وعندما سئل النبي ﷺ : "أي الكسب أفضل ؟ فقال : عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور "[3].

وقال رسول الله ﷺ : "ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده ، وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده"[4] ونبي الله داود عليه السلام كان يحترف صناعة الحديد .

وأخيراً يجب أن نعلم أن اكتساب المال من أي حرفة – ليس فيها معصية لله – يجب أن تحترم وتقدر بقدرها ، بحسب الأحوال ، فقد تكون فريضة من الفرائض المستحبة ، أو نافلة من النوافل . وبناءً على ذلك يجب على المسلم أن يعرف كيف ينظم عباداته ويرتب قرباته ، فإن الله لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة .

فلو أن رجلاً سهر ليلة وهو قائم يصلي ويسبح حتى أخذه التعب فنام عن وظيفته ولم يؤدي عمله – مهما كان عمله – تجارة أو زراعة أو صناعة أو غير ذلك من الأعمال التي تؤدي إلى تنمية المجتمع الإسلامي لكان بذلك

---

(1) محمد الغزالي ، كيف نفهم الإسلام ، ص ٥٤ .

(2) رواه الحاكم ، ج ٥ ، ص ٢٤٤ ، حديث (٢١٠٢) .

(3) رواه ابن أبي شيبة ، ج ٥ ، ص ٣٧٢ ، حديث (٢) والطبراني في المعجم الكبير ، ج ٤ ، ص ٣٧٤ ، حديث (٤٢٨٥)

(4) رواه البخاري ، حديث (٢١١١) .

السهر عاصياً لله ، لأن تأخره عن مضمار عمله – لانشغاله بنافلة – سيتيح لأعداء الإسلام أن يتقدموا على المسلمين ، ويسيطروا عليهم ، كما هو الحال الآن في الزمن الحاضر[1] .

حقــوق العمـــــال :

عندما خلق الله الإنسان كرمه على سائر مخلوقاته ، وأسجد له ملائكته دلالةً على علو مكانته عند رب العالمين ، ولما كان الأمر كذلك شرع الله عز وجل قوانين تحمي هذا الإنسان من ظلم أخيه الإنسان ، وأوصى بأن تكون العلاقة القائمة بين أصحاب الأعمال وعمالهم علاقة قائمة على الزمالة بين رجال أحرار ، جمعتهم الحياة على عمل واحد ، فليس العمال خدماً لأحد من الناس بخصوصه ، إنما هــم خدم لوظائفهم ومعايشهم وأمتهم وبلادهم ، ومن هذا الميدان يجب أن لا تخدش لهم كرامة ، ولا يلحق بهم عار[2].

ومن هذا المنطلق فإنه يجب على الدولة أن تسن قوانين صارمة لحماية العمال ، وتخضع هذه القوانين لرقابتها وسلطتها ، لأن هضم حقوق العمال والأُجَراء وإذلال المستضعفين أمر حذر منه الإسلام ونهى عنه أتباعه ، كما أن هضم الحقوق يثير في النفس ثورة عارمة من الممكن أن تقضي على الأخضر واليابس مما يؤدي إلى اشتعال الثورات ، كما حدث على مستوى العالم فقد قامت الثورة الفرنسية الكبرى عام ١٧٨٩م ، والثورة البلشفية في روسيا عام ١٩١٧م بسبب هضم الحقوق وإذلال المستضعفين .

كما أنه من الواجب على الدولة أن تقدم ضمانات مادية وأدبية عديدة لكل الطبقات العاملة على اختلاف مهنهم ووظائفهم ، وفي مقدمتها ما يتصل

---

(1) محمد الغزالي ، كيف نفهم الإسلام ، ص ٥٥ .

(2) محمد الغزالى ، الإسلام والمناهج الاشتراكية ص١٥٨ .

بجسد الإنسان ، والمحافظة على صحته وحمايته من الأمراض ، وأهم هذه الضمانات ما يلي :

١- المسكن الصحيح :

الأماكن المعدة للمعيشة الكريمة لها أثر عميق في كيان الإنسان ، وعافية بدنه من الأمراض ، كما أن لها إيحاء يتغلغل في تفكير الإنسان ، فيرسله طلقا نقيا يستقبل الحياة من أفضل نواحيها نشاطاً وأملاً ، ولذلك قال الرسولﷺ : "ثلاث من السعادة : المرأة تراها فتعجبك وتغيب عنها فتأمنها على نفسك ومـــالك ، والدابة تكون وطيئة فتلحقك بأصحابك ، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق . وثلاث من الشقـــاء : المرأة تراها تسوءك ، وإن غبت عنها لم تأمنها على نفسك ومالك ، والدابة تكون قطوفا فإن ضربتها أتعبتك ، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك ، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق" [(١)]. فإذا لم تهتم الحكومة بهذا الأمر المهم ، وتركت إعداد مساكن العمال لأصحاب الأعمال – وقد يكون منهم من لم يكن متق لله عز وجل – وبالتالي فلا يهتمون إن سكن هذا العامل في سكن يليق به أو لا ، سكناً يأوي إليه أصحابه ليلاً كما تأوى الحشرات في الجحور . مما ينعكس آثاره السلبية على ذلك العامل ، ومن ثم على المجتمع .

٢- الأجر الكافي :

يجب على الدولة أن تحدد الحد الأدنى للأجور ، بحيث أن تغطي هذه الأجور حاجات العامل الضرورية ، من طعام وشراب ومسكن وكساء وتعليم وترفيه ، وهذا المعنى الإنساني للأجر جزء من صميم المجتمع الإسلامي الذي يقوم على التكافل ، وينظر إلى المسلمين على أنهم كأسنان المشط ، ولا تسمح الدولة للعوامل الاقتصادية أن تحيف على الحقوق الإنســانية ، أو

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك ، ج ٦ ، ص ٢٩١ ، حديث (٢٦٣٤) .

المستويات المعيشية . ويجب أن تحذر من انتقاص حق العامل ، والافتيات عليه ، كما يجب أن تهتم بالحالة النفسية عند العامل المكدود في شغله ، وترفض أن تراه ساخطاً متبرماً لأنه ليس هناك أخطر من أن يترك العامل يشعر بأنه مغتصب الجهد ، منتقص الأجر ، ولذا حذَّر النبي ﷺ من ذلك ، وحسم هذا الشعـور بقولـه " أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه "[١] والمقصود أن يكون الأجر المبذول له تعويضاً كاملاً عما أدى من عمـل ، وبذل فيه من قوة ، حتى يتكون في نفسه إحساس بأن عرقه الذي لم يجف بعد هو مصدر هذا الكسب الماثل في يده ، فلا ظلم ولا استغلال ، وقد عد الرسول صلى الله عليه وسلم من الرجال الذين يخاصمهم الله بنفسه يوم القيامة رجلا استأجر عاملاً فاستوفى منه في العمل ولم يوفه الأجر .

ولأن التظالم قد يقع بين العامل وصاحب العمل ، فقد وضع الفقه الإسلامي تسعيراً للملكات والمواهب والخدمات العامة ، وهو ما صنعته الدول حديثاً . بمعنى أنه إذا اختلف جماعة من الحمَّالين أو الخبازين في أمر فإن الحاكم يتدخل لمعرفة الأجر العادل الذي تقوم به هذه الخدمـة ، ثم يفرضه ويحمل عليه الطرفين ، وذلك لما يلي :

أولاً : لرفع المستوى المعيشي ، وهذا حق العامل .

ثانياً : لمنع التضخم في الدولة ، وهذا حق الدولة .

ثالثاً : لرفع الظلم عن صاحب المال ، وهذا حق صاحب المال[٢] .

---

(1) رواه ابن ماجه ، ج ٧ ، ص ٣٩٧ ، حديث (٢٥٣٧) .

(2) قطب عبدالحميد قطب ، محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع ، ص ٧٣ .

تحديد ساعات العمل :

سبق الإسلام جميع الشرائع في إعطاء العمال مطلق الحرية في أن يتركوا جو العمل الجاد ، ليتنفسوا في جو الحياة المرحة ، ومواطن اللهو المباح، فقد قال معلم البشرية رسول الله ﷺ : "روّحوا القلوب ساعة بعد ساعة ، فإن القلوب إذا كلّت عميت" [1].

ومن هذا المنطلق فإنه يجب على الدولة أن تشرع القوانين التي تمنح العمال الراحة اليومية والإسبوعية والسنوية التي تمنع عنهم السآمة ، وتجدد في نفوسهم الرغبة ، وتحبب لهم الحياة ، لما في ذلك من الأثر الكبير الذي يعود على إنتاجيتهم في العمل .

ولذلك نرى أن نقابات العمال في الغرب طالبت بأن يكون أسبوع العمل أربيعين ساعة ، حتى يعطي العامل نفساً عميقاً في راحته الإسبوعية[2] . وهذا مما يؤيده الإسلام ، بل ويحث عليه ، لأن الإسلام نهى أن يصلي أحد فوق نشاطه ، فكيف بأعمال الدنيا ؟!

يقول الشيخ محمد الغزالي – رحمه الله : إن الترويح عن القلوب ، وإدخال السرور على الناس ، وَرَدّ المضايقات عن نفوسهم، أمر ارتفع به الإسلام، حتى عده أقرب إلى رضوان الله من الانقطاع إلى الصلاة والصيام[3] .

المثل التطبيقي من حياة النبي صلى الله عليه وسلم

---

(1) رواه الديلمي ، ج ٢ ، ص ٢٥٣ ، حديث (٣١٨١) .

(2) محمد الغزالي ، الإسلام والمناهج الاشتراكية ، ص ١٩٣ .

(3) السابق ، ص ٩٤ .

فقد أدى رسول الله ﷺ الأعمال الكثيرة في حياته ولم يترفع على أي عمل ، وها هي بعض النصوص التي تبين لنا بعض ما قام به الرسول الكريم ﷺ من أعمال سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها .

عن أبي هريرة – ﷺ – عن النبي ﷺ – قال :" ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم" . فقال أصحابه : وأنت ؟ فقال : "نعم كنت أرعاها على قراريط لأهل مكة" [1] .

وعن عائشة – رضي الله عنها – وقد سُئِلَتْ عما كان النبي ﷺ يصنع في أهله ؟ قالت : كان في مهنة أهله ، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة[2] .

وعن عثمان بن عفـــان – ﷺ – أنه قال في خطبة له "إنا والله قد صحبنا رسول الله ﷺ في السفر والحضر ، وكان يعود مرضانا ، ويتبع جنائزنا، ويغزو معنا ، ويواسينا بالقليل والكثير ، وإن ناساً يُعْلِموني به عسى أن لا يكون أحدهم رآه قط " [3] .

وعن المغيرة بن شعبة – ﷺ قال : "إنْ كان النبي ﷺ ليقوم – أو ليصلي – حتى ترم قدماه – أو ساقاه – فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبداً شكوراً ؟" . وفي روايـــة : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : "أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً" [4] .

---

(1) رواه البخاري ، الفتح ، ج ٤ ، حديث (٢٢٦٢) .

(2) رواه البخاري ، الفتح ، ج ١٠ ، حديث (٦٠٣٩) .

(3) رواه أحمد فى المسند ، ج١ ، ص٦٩ ، حديث (٧٠) وقال الشيخ أحمد شاكر إسناده صحيح.

(4) رواه البخاري ، الفتح ، ج ٣ ، حديث (١١٣٠) ج ٨ ، حديث (٤٨٣٧) .

وعن أبي الدرداء – ﷺ – قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ في شهر رمضـــان، في حرٍّ شديد ، حتى إن كان أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبدالله بن رواحة" [1] .

عن البراء بن عازب – ﷺ – قال : كان النبي ﷺ ينقل التراب يوم الخندق حتى أغْمَرَ بطنه أو إغْبَرَّ بطنه . يقول :

والله لولا الله ما اهتدينا ولا تصدقنا ولا صلينا

فأنزلــن سكينـــة علينا وثبت الأقدام إن لاقينا

إن الألى قد بغــوا علينا إذا أرادوا فتنـــة أبينا

ويرفع بها صوته : أبينـــا أبينـــا[2] .

وعن جابر بن عبدالله – رضي الله عنهما – قال : "إنا يوم الخندق نحفر فعرضت كدية شديدة فجاءوا النبي ﷺ فقالوا : هذه كدية – القطعة الشديدة الصلبة من الأرض – عرضت في الخندق فقال : "أنا نازل" ثم قام وبطنه معصوب – مربوط – بحجر ، ولبثنا ثلاثة أيام لا نذوق ذواقا" . فأخذ النبي ﷺ المعول ، فضرب في الكدية ، فعاد كثيباً – رملاً – أهْيَلَ – غير متماسك أو أهيم . فقلت : يا رسول الله ائذن لي إلى البيت ، فقلت لامرأتي : رأيت بالنبي ﷺ شيئاً ما كان في ذلك صَبْرٌ . فعندك شيء ؟ فقالت : عندي شعير وعناق – أنثى الماعز – وطحنت الشعير حتى جعلنا اللحم بالبرمة – القدر – ثم جئت النبي ﷺ والعجين قد انكسر – أي لان ، والخميرة تمكنت منه – والبرمة في الأثافى – الحجارة التي توضع عليها القدور – قد كادت تنضج فقلت : طُعَيِّمٌ لي، فقم أنت يا رسول الله ورجل أو رجلان .

---

(1) رواه البخاري ، الفتح، ج ٤، حديث (١٩٤٥) ومسلم، حديث (١١٢٢) واللفظ له.

(2) رواه البخاري ، الفتح ، ج ٧ ، حديث (٤١٠٤) ، ومسلم ، حديث (١٨٠٣) .

قال : كم هو ؟ فذكرت له .... فقال : "كثيرٌ طيبٌ" .

قال : "قل لها لا تنزع البرمة ولا الخبز من التنور حتى آتي" .

فقال : "قوموا" فقام المهاجرون والأنصار . فلما دخل على امرأته قال : ويحكِ جاء النبي ﷺ بالمهاجرين والأنصار ومن معهم .

قالت : هل سـأله ؟ .... قلت : نعم .

فقال : "ادخلوا ولا تضاغطوا" فجعل يكسر الخبز ويجعل عليه اللحم ويُخَمِّرُ البرمة والتنور إذا أخذ منه ويقرب إلى أصحابه ثم ينزع فلم يزل يكسر الخبز ويغرِفُ حتى شبعوا وبقى بقيةٌ .

قال : "كلي هذا وأهدى ، فإن الناس أصابتهم مجاعة"[1] .

---

(1) رواه البخاري ، الفتح ، ج ٧ ، حديث (٤١٠١) ، ومسلم ، حديث (٢٠٣٩) .

الخاتمـــة

***

خاتمة البحث :

بعد هذا الاستعراض السريع لأثر العمل والكسب في تنمية المجتمع والرقي به نتوصل إلى أن الإسلام قد وضع طريقاً ومنهجاً للنهوض والتقدم ، وأنه قد سبق وأن طبق هذا المنهج في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وعلماء المسلمين ، فقد امتهنوا المهن المختلفة فجاءوا بأفضل النتائج .

وبناء على ذلك نعتقد أن تطبيق وتحقيق النظرة الإسلامية للعمل والكسب وتفعيلها اليوم كما كانت في السابق يعود بالأمة إلى سابق عهدها وتكون في طليعة الأمم إذا التزمنا نظمه في الملكية والإنتاج ، وطبقنا هديه في الاستهلاك والتوزيع ، كما يجب على كل مسلم أن يسعى ويعمل ويجتهد ملتمساً الرزق في خبايا الأرض والكون حتى يغني نفسه ويسد حاجته وينفق على أسرته غير مفتقر إلى معونة فرد أو دولة .

المطلوب منا تحقيق تنمية مستقلة تستمد جذورها من واقعنا ، وتعتمد في بنائها على إمكانياتنا ، ويعود خيرها على الأمة الإسلامية ، ولا يجوز لنا بحال من الأحوال أن ننظر نظرة ازدراء واحتقار للعمل أي كان نوعه مادام عملا مباحا ومشروعا ، بل يجب الاعتقاد أن السعي في مناكب الأرض بحثا عن الرزق سنة الله تعالى في خلقه ، وهو لا يتناقض مع التوكل على الله .

فنحن مطالبون بتغيرات عميقة وتضحيات كبيرة ، تغيرات في الموارد المالية والبشرية والعلاقات الاجتماعية في ظل التخلف الذي نعيشه ، تغيرات تقوم على رفع مكانة العمل وشأنه عن طريق إقامته على أساس العلم

وتشجيع الإقبال عليه بتوفير الحوافز المادية والأدبية تخلصا من النظرة الدونية التي صغرت من شأنه وأدت إلى رفع قيمة الدراسات النظرية على الأعمال المهنية، وبالمقابل يجب على الدولة أن تسعى جاهدة لتوفير فرص العمل وتزويد كل عامل بالحرفة والمهنة التي يستطيع أن يؤديها بإتقان وجدارة ، فالله سبحانه وتعالى قد هيأ للإنسان المجال الملائم لاستخدام كل طاقاته الإبداعية ، ووفر له الشروط الضرورية التي تساعده على القيام بمهمته المتمثلة في خلافته لله في الأرض ، والنهوض بمسئوليته في عمارة الأرض ، حيث جعل الله الكون بسمائه وأرضه وما بينهما مجالاً لنشاط الإنسان ، فكل ما عدا الإنسان مسخر لخدمته ، ومجال لنشاطه .

وأخيرا يجب أن نغرس في نفوس المسلمين أن العمل جزء لا يتجزأ من الدين ، وأن الإقبال عليه عبادة يتقرب بها العبد إلى ربه ما كانت نيته حفظ نفسه وأسرته ومجتمعه .

قائمة بأهم المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢-كتب السنن والمتون

- أحمد بن حنبل ، مسند الإمام أحمد ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط.١٩٩٤م .
- البخاري، فتح الباري، شرح صحيح البخاري، دار السلام ، الرياض، ط. ٢٠٠٢م.
- البيهقي ، شعب الإيمان ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط.١٩٩٨م .
- الترمذي ، جامع الترمذي ، دار المعارف ، الرياض ، ط. ٢٠٠٤م .
- ابن حبان ، صحيح ابن حبان ، مؤسسة الرسالة ، لبنان ، ط. ٢٠٠٢م .
- الحاكم ، المستدرك ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط. ١٩٩٧م .
- أبو داود ، سنن أبي داود ، دار المعارف ، لبنان ، ط.٢٠٠٤م .
- الديلمي ، مسند الديلمي ، دار إحياء التراث ، لبنان ، ط.١٩٨٨ م.
- ابن أبي شيبه ، مصنف ابن أبي شيبه ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط.١٩٨٨م.
- الطبراني ، المعجم الكبير ، دار إحياء التراث ، لبنان ، ط. ١٩٨٤ م.
- الطيالسي ،مسند أبي داود الطيالسي ،دار إحياء التراث ، لبنان ، ط.١٩٨٢م .
- ابن ماجه ، سنن ابن ماجه ، دار المعارف ، الرياض ، ط. ٢٠٠٤ م .

- مسلم ، صحيح مسلم ، دار المعرفة ، لبنان ، ط. ٢٠٠٤ م .
- المنذري ، الترغيب والترهيب ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط. ١٩٩٩م .
- النسائي ، سنن النسائي ، دار المعارف ، الرياض ، ط. ٢٠٠٤ م .
- الهيثمي ،مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ،دار الكتب العلمية ،لبنان ، ط. ١٩٩٦م.

٣-مراجع عامة

- د. بدر الماص،التعليم التطبيقي في القرآن الكريم ، مكتبة الصحوة، ط.١٩٩٩م .
- ابن تيميه ، العبودية ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، ط. ١٩٨٨م .

مجموع الفتاوى ، دار ابن حزم ، لبنان ، ط. ١٩٩٨م .

- دراسات في الثقافة الإسلامية ، مجموعة من الدكاترة ، مكتبة الفلاح ، الكويت، ط.١٩٩٨م.
- د.روحي الدين بعلبكي ، موسوعة روائع الحكمة والأقوال الخالدة ، دار العلم للملايين ، لبنان ، ط. التاسعة ٢٠٠٦م .
- الطبري ، تفسير الطبري ، ج ١٤ ، طبعة دار المعارف .
- الغزالي أبو حامد ، إحياء علوم الدين ، دار المعرفة ، لبنان .
- الغزالي محمد ، الإسلام والأوضاع الاقتصادية ، دار نهضة مصر ،ط. ١٩٩٦م .

الإسلام والمناهج الاشتراكية ، دار نهضة مصر ، ط.١٩٩٦م .

كيف نفهم الإسلام،دار التوفيق النموذجية،القاهرة، ط.١٩٨٣م

من هنا نعلم ، دار نهضة مصر ، ط. ١٩٩٦م .

نظرات في القرآن ، دار نهضة مصر ، ط . ١٩٩٦م .

- ابن قدامة المقدسي،مختصر منهاج القاصدين،دار الكتب العلمية،لبنان ، ط.١٩٨٨م.
- القرضاوي يوسف ، مشكلة الفقر وكيف عالجها الإسلام ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، ط.التاسعة ١٩٩١م .
- قطب عبدالحميد قطب ، محاضرات الشيخ محمد الغزالي في إصلاح الفرد والمجتمع ، دار الاعتصام ، القاهرة .
- موسوعة نظرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم ، مجموعة من الباحثين ، دار الوسيلة ، جدة ، ط. الأولى ١٩٩٨م .
- د.يوسف الإبراهيم ، دراسات عربية وإسلامية ، ج ٧ ، مطابع الفتح الإسلامي ، القاهرة ، ط. ١٩٨٨م .

* *